

الصُّرْقَةُ: بَابُ النُّطَاقِ

كَانَ مِنْ نِتَاجِ بُعْدِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنِ جَادَّةِ الطَّرِيقِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ: هَذَا التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ وَالتَّشْرُزُّمُ وَالتَّحْزُبُ وَالتَّهَارُجُ؛ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْعِلَلِ الَّتِي عَوَّقَتْ مَسِيرَةَ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ، وَهَذَا التَّفَرُّقُ - فِي الْحَقِيقَةِ - هُوَ أخطرُ الْآفَاتِ الَّتِي أَصَابَتِ الْأُمَّةَ فِي مَقْتَلٍ، فَحَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَصُبُّوا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِخْلَافِ وَالتَّمَكِينِ لِذَيْنِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

وَمَا كَانَ هَذَا التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ إِلَّا بِسَبَبِ الْمُخَالَفَةِ لِلسَّبِيلِ الْأَوْحَدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسَلَّكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام / ١٥٣]، فَالتَّنَازُعُ وَالتَّفَرُّقُ نَاشِئٌ عَنِ الْبُعْدِ عَنِ طَرِيقِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال / ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ / ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا

الَّذِينَ وَلَا نُنْفِرُوا فِيهِ ﴿ الشُّورَى / ١٣] .

وَكَانَ هَذَا التَّفَرُّقُ بِمِثَابَةِ الْمُسْتَنْقَعِ الْأَسِنِ الَّذِي بَاضٌ فِيهِ بَاعُوضُ الْهَوَى
وَأَفْرَحَ، وَأَعْطَى الْفُرْصَةَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَرُؤُوسِ الصَّلَالِ وَالْفِتَنِ أَنْ
يُلْقُوا شِبَاكَهُمْ لِيَصْطَادُوا فِي الْمَاءِ الْعَكْرِ وَيَبْشُوا سُمُومَهُمْ، فَنَادَى أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ
بِإِبْعَادِ الْإِسْلَامِ وَعَزَلِهِ عَنِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ وَأَنْكَرُوا فَضَلَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ،
وَتَلَقَّفَ ذَلِكَ الْمُتَوَرُّونَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَجَلَدَتِنَا الَّذِينَ تَرَبُّوا عَلَى أَعْيُنِ أَعْدَائِنَا؛
تَلَقَّفَ الْجَائِعَ لِلْحَقِيرِ مِنَ اللَّقِيَّاتِ، وَابْتَلَعُوهَا مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ وَلَا رَوِيَّةٍ عَلَى مَا
فِيهَا مِنْ سُمُومٍ نَاقِعَاتٍ .. تَسْرِي فِي عُرُوقِهِمْ وَتَحْتَلِطُ بِدِمَائِهِمْ، وَتَسْتَأْصِلُهُمْ
قَبْلَ أَنْ تَسْتَأْصَلَ غَيْرَهُمْ، وَصَارُوا مَطِيَّةً وَقَطْرَةً لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَأَضْحُوا
وَسِيلَةً لِلْهَدْمِ وَالتَّدْمِيرِ فِي يَدَيِ أَعْدَاءِ اللَّهِ؛ فَمَكَّنُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ
تَمْكِينًا مَا رَأَوْا مِثْلَهُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ مُنْذُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَبَعُوا
وُجُوهَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّوَادِ، وَكَلَّلُوهُمْ بِالْحَزِيِّ وَالْعَارِ!

إِنَّا نُنَبِّهُ عَلَى خُطُورَةِ هَذَا الْغَزْوِ وَالِاسْتِعْمَارِ الثَّقَافِيِّ الشَّرِسِ الْحُقُودِ الْمَلْحَاحِ
الَّذِي عَرَزَ أَنْيَابُهُ فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ؛ فِي وَقْتِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَرَنَّحُونَ تَحْتَ وَطْأَةِ
التَّفَرُّقِ وَالْجُمُودِ، وَالَّذِي أَعَانَهُ كُتَّابٌ وَسَاسَةٌ مُبْغِضُونَ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ جَهْلَةٌ بِهِرَهُمْ بِهِرْجُهُمْ؛ فَهَمَّ دَائِبُونَ فِي مُحَاوَلَةٍ مُسْتَمِيتَةٍ لِمَحْوِ

شَرَائِعِنَا وَتَمَيِّعِ شَخْصِيَّتِنَا؛ فَفَجَّحَ هَذَا الْغَزْوُ فِي إِعْطَابِ الْهُويَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ
لِلشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبَلْبَلَةِ الْأَلْسُنِ، وَالْعَادَاتِ، وَالْعَقَائِدِ، وَالْأَفْكَارِ،
وَالْأَخْلَاقِ، وَطَيَّ شَرِيْعَتِنَا وَشَرَاعِنَا، وَتَحْقِيرِ شَعَائِرِنَا، وَتَذْوِيبِ الصَّبْغَةِ وَالْهُويَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَتَمَيِّزَةِ.

وَلِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِظْهَارِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَفْرِشُونَ الْأَرْضَ بِالْوُرُودِ
وَالرِّيَاحِينَ بَعْدَ تَمْهِيدِهَا هَذَا الْإِسْتِعْمَارِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي هُوَ أخطرُ مِنَ الْإِسْتِعْمَارِ
العَسْكَرِيِّ الَّذِي كَانَ يُوجَاهُ بِالْمُقَاوَمَةِ وَالْكَرَاهِيَّةِ، وَكَذَا إِظْهَارِ كُلِّ مَنْ نَدَّ عَنِ
الدِّينِ الْحَقِّ وَاضْطَرَبَتْ صِلَتُهُ بِهِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ سَلْفُنَا الصَّالِحُ -الَّذِينَ هُمْ
صَفْوَةُ الْأُمَّةِ عِلْمًا وَوَرَعًا وَحِكْمَةً- بِالْجُرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِرُوَاةِ الْأَحَادِيثِ؛ فَيَبِينُوا
أَحْوَالَهُمْ مِنَ الْوَهْنِ أَوْ الْإِنْجِرَافِ أَوْ الْكِذْبِ أَوْ الْبِدْعَةِ، فَيَجِبُ أَنْ نَنْسَجَ عَلَى
مِنْوَالِهِمْ؛ فَنَفْضِحُ أَهْلَ النِّفَاقِ وَدَسَائِسَهُمْ، وَأَهْلَ الزَّيْغِ وَبِدْعَهُمْ، وَأَهْلَ
الضَّلَالِ وَضَلالَتِهِمْ .. فَلَا بُدَّ مِنْ نَعْرِيةِ عَوَارِ بِاطْلِهِمْ، وَشَرَحِهِمْ حَتَّى يَبْدُو
فَقَارُهُمْ، وَتُظْهَرَ مَخَازِيهِمْ، وَيُنْكَشِفَ كَذِبُهُمْ وَفِرَاهُهُمْ، وَتَنْفَضِحَ جَرَائِمُهُمْ..
وَإِظْهَارِ خُبِّ نِيَّتِهِمْ وَسُوءِ طَوِيَّتِهِمْ حَتَّى لَا يَرُوجَ بِهِرْجُهُمْ عَلَى الْبُلْهَاءِ
وَالْجُهَلَاءِ بِمَنْهَجِ الْأَنْبِيَاءِ، فَبِئْسَ سَمَاعُونَ لِلْمُنَافِقِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ
الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ

يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ [التَّوْبَةُ / ٤٧] (١).

وَذَلِكَ مِنْ بَابِ «النَّصِيحَةِ»؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٢) «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».
وَلَأَبَدًا مِنَ الْأَخْذِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى حَظِيرَةِ الْإِيمَانِ وَسُلُوكِ الْجَادَّةِ،
وَذَلِكَ مِنْ بَابِ «الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ»؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٣) «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

وَكَيْفَ نَسَبْتُ عَنْهُمْ وَمَا سَكَتُوا هُمْ عَنَّا؟ وَهَؤُلَاءِ سَبَبُ نَكْبَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا وَقَعَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ مِحْنٍ وَبَلَايَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَهُمْ لِسَانَ الْعَدُوِّ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَيَدُهُ الَّتِي يَخْلُصُ عَنْ طَرِيقِهِمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَلِذَا؛ فَفَسَادُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ اسْتِيْلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ عَلَى بِلَادِ

(١) يُنظَرُ "مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى" (٢٨ / ٢٣٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٥٥).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٤٩).

المُسْلِمِينَ، وَلِذَا؛ فَهَمَّ أَصْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَاءِ (١).

وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْجِهَادِ قَلَّ سَأَلُ هُوَ - فَمَنْ يَنْزِلُ فِي هَذَا الْبَحْرِ الْخِضَمِ الَّذِي قَلَّ فِيهِ السَّابِحُونَ وَكَثُرَتْ فِيهِ التَّمَائِصُحُ؟ .. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التَّوْبَةُ / ٧٣، التَّحْرِيمِ / ٩].
 وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْجِهَادِ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْفَارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَوَرِثَةِ الرُّسُلِ، وَلِذَا؛ فَالْقَائِمُونَ بِهِ قَلِيلُونَ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعِ (٢)، وَلَا بُدَّ مِنْ إِبْرَازِ الْحَقِّ وَإِعْلَانِهِ وَتَبْيِينِ الصَّوَابِ وَتَوْضِيحِهِ، وَمَحْوِ الْبَاطِلِ وَسَحْقِهِ وَتَقْوِيضِهِ وَدَمْعِهِ.

وَلَا بُدَّ مِنْ إِغْلَاقِ الْبَابِ الَّذِي وَلَجَ مِنْهُ أَهْلُ النِّفَاقِ وَأَهْلُ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ؛ وَهُوَ بَابُ التَّمَرُّقِ وَالتَّنَازُعِ الَّذِي فَشَى فِي الْأُمَّةِ، بِمَا أَدَّى إِلَى هَذَا التَّصَدُّعِ فِي كَيَانَ وَبُنْيَانِ الْأُمَّةِ الدَّاخِلِيِّ وَمَزَّقَ أَوْصَالَهَا، وَأَدَّى إِلَى تَفَكُّكِ الْأُمَّةِ وَسُقُوطِهَا إِلَى

(١) رَاجِعُ: "مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى" (٢٨/٢٣٢)، وَ"مِنْهَاجِ السُّنَّةِ" (٥/١٥٩).

(٢) انظُرْ: "زَادَ الْمَعَادُ" (٣/٥ وَمَا بَعْدَهَا)، وَ"مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ" (١/٧٦).

حَضِيضِ الْهُوَانِ، وَأَعْطَى الْفُرْصَةَ لِأَعْدَائِهَا يَتْلَعُونَ بِعِزِّهَا وَكَرَامَتِهَا، وَيَنْهَبُونَ خَيْرَاتِهَا وَثُرَوَاتِهَا كَيْفَمَا شَاءُوا .. وَخَاصَّةً هَذَا التَّفَرُّقُ الْمُتَسَرِّبُ لِلبَّاسِ الدِّينِ الَّذِي يَرْفَعُ شِعَارَاتٍ دِينِيَّةٍ رَنَانَةً طَنَّانَةً تُقَوْمُ عَلَى حُجَجٍ وَاهِيَّةٍ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ! فَأَعْظَمُ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ وَالشَّقَاءِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ شَقَاءٌ، وَالذَّاءُ الْعِضَالُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ، وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرَاءٌ: التَّنَازُعُ، وَأَشْدُّهُ وَلَاشَكُّ: التَّنَازُعُ فِي الدِّينِ، وَالتَّنَازُعُ قَرِينُ الْخُذْلَانِ وَالْفِشْلِ، وَتَفَرَّقَ الْكَلِمَةُ وَتَقَطَّعَ الْأَمْرُ نَذِيرُ التَّصَدُّعِ وَالْإِنْهِيَارِ، فَمَا تَفَرَّقَتْ كَلِمَةُ قَوْمٍ وَتَقَطَّعُوا فِرْقًا وَأَحْرَابًا إِلَّا أَمْتَهَدَ السَّبِيلَ إِلَى غَزْوِهِمْ وَتَسْلِيطِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وَلِذَا سَارَ الْمُسْتَعْمِرُ دَائِمًا عَلَى مَبْدَأٍ: «فَرَّقْ تَسُدَّ».



فَهَذِهِ النُّكْبَةُ الَّتِي حَلَّتْ بِالمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ الذَّلَّةُ وَالْمَهَانَةُ الَّتِي لَحَقَتْ بِهِمْ، وَهَذِهِ الدَّمَاءُ الَّتِي أُرِيقتْ، وَالْأَرْوَاحُ الَّتِي أَزْهقتْ، وَالْأَعْرَاضُ الَّتِي أَنْتَهكتْ، وَالْمُقَدَّسَاتُ الَّتِي هُتِكتْ .. مَا كَانَتْ إِلَّا بِسَبَبِ هَذَا التَّفَرُّقِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّنَاحِرِ الَّذِي حَدَثَ لِلْأُمَّةِ .. فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَسَادَ وَهَلَكَا، وَاجْتَمَعُوهُمْ صَلَاحٌ وَتَمَكِينٌ، وَالْإِتِّتْلَافُ رَافِدٌ وَرَائِدُ النَّصْرِ، وَالتَّفَرُّقُ بَرِيدُ الْهَزِيمَةِ^(١)، وَكَيْفَ نَقَفَ أَمَامَ

(١) وَقَدْ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَيْضًا "الْإِسْتِقَامَةُ" (١/٤٢):

نَحَاوِرُهُ أَوْ نُقَاتِلُهُ، وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُرْدِيَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشْرِذِ؟

تَأْبَى الرَّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسَّرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ^(١) «إِنِّي لَأَرَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِلَّا ظَاهِرِينَ عَلَيَّكُمْ؛ لِتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ بِاطِلِهِمْ».

وَلِذَا جَاءَ النَّهْيُ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام / ١٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ / ١٠٥]، وَوَصَفَ تَعَالَى الْمُتَفَرِّقِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣١] ^(٢) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرُّومَ / ٣١، ٣٢].

= «وَالْبِدْعَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْفُرْقَةِ، كَمَا أَنَّ السُّنَّةَ مَقْرُونَةٌ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَيُقَالُ: (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، كَمَا يُقَالُ: (أَهْلُ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ)، فَالْأَهْوَاءُ سَبَبُ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ، فَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ تَفَرُّقِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ مِنْ تَفَرُّقِ أَهْلِ الْحَقِّ»!!!

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٨ / ٦١٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ^(١) سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، وَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ^(٢) هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا؛ قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ؛ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ».

فَإِذَا كَانَ فِي خِلَافِ الْمُصِيبِينَ الْهَلَكَ؛ فَمَا بَالُكَ بِخِلَافٍ غَيْرِهِمَا؟

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ^(٣) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ؛ وَيَقُولُ: «اسْتَوْوَا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبِكُمْ».

فَإِذَا كَانَ الْإِخْتِلَافُ فِي الْجُزْئِيَّاتِ سَبَبًا لِإِخْتِلَافِ الْقُلُوبِ وَتَنَافُرِهَا؛ فَكَيْفَ بِالْإِخْتِلَافَاتِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، وَالَّتِي ذَاقَ الْمُسْلِمُونَ مَرَارَتَهَا وَأَدَّتْ إِلَى

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٢٤١٠).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٦٦٦).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٤٣٢).

هَذَا الْحَالِ الْمُتَدَنِّي الْمَتَدَهْوِرِ وَالْمُنْهَارِ الَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَلَوْ لَا حِفْظُ اللَّهِ لَهَا لَكَانَتْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ!؟

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّضًا: (١) «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ (٢)، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ، فَمَنْعَنِيهَا».

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام / ٦٥]؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٣) «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا (٤) وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ (٥)﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ».

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٨٩٠).

(٢) أَيُّ: الْجَدْبُ وَالْفَحْطُ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٤٦٢٨).

(٤) أَيُّ: يَكُونُوا فِرْقًا مُّخْتَلِفِينَ.

(٥) أَيُّ: بِالْحَرْبِ وَالْقَتْلِ، وَهَذَا أَخْفَى مِنَ الْإِسْتِصَالِ. وَأَنْظُرْ: "فَتْحُ الْبَارِي" (١٣/٢٩٦).

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَارِبُ جُرْثُومَةَ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ وَالتَّدَابُرِ
وَالْتَّنَاحِرِ وَهِيَ فِي مَهْدِهَا قَبْلَ أَنْ تَنْمُو وَيَسْتَفْحَلَ خَطَرُهَا؛ فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: (١) غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢)، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ (٣) نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ (٤)، فَكَسَعَ (٥) أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ
الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا؛ حَتَّى تَدَاعَوْا (٦)، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ! (٧)
وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ
دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» (٨) ثُمَّ قَالَ: «مَا شَأْنُهُمْ؟» فَأَخْبَرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ؛

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٣٥١٨) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٨٤).

(٢) هِيَ غَزْوَةُ الْمُرَيْسِعِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ.

(٣) أَي: اجْتَمَعَ.

(٤) أَي: بَطَّالٌ، وَقِيلَ: كَانَ يَلْعَبُ بِالْحِرَابِ كَمَا تَصْنَعُ الْحَبَشَةُ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ: جِهْجَاهُ بْنُ قَيْسِ

الْغِفَارِيِّ، وَكَانَ أَحَبَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْأَنْصَارِيُّ هُوَ: سَيَّانُ بْنُ وَبَرَةَ حَلِيفُ بَنِي سَالِمِ

الْخَزْرَجِيِّ. كَمَا فِي "فَتْحِ الْبَارِي" (٦ / ٦٣٢)، وَانظُرْ: (٨ / ٥١٧).

(٥) أَي: صَرَبَهُ عَلَى دُبُرِهِ بِالْيَدِ أَوْ بِالرَّجْلِ.

(٦) أَي: دَعَى كُلُّ قَوْمَهُ.

(٧) أَي: أَغْيَشُونِي.

(٨) وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصِيْبَةً أَوْ يَنْصُرُ عَصِيْبَةً؛ فَقَتَلَهُ =

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُتَيْتَةٌ»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ -رَأْسُ الْمُتَنَافِقِينَ- فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟ أَمَا وَاللَّهِ! لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ... الْحَدِيثُ.

فَانظُرْ كَيْفَ سَمَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَى كُلِّ مِنْهَا طَائِفَتَهُ الْمُتَسَبِّبِ إِلَيْهَا (١) "دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ"، وَذَكَرَ خُبْنَهَا وَنَتْنَهَا؟ (٢).

=جَاهِلِيَّةٌ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ ح ١٨٥٠)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ح ٥١٢١، وَانظُرْ مُسْلِمًا ح ١٨٤٨)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ لِلْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ: «أَنَا أَمَرْتُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ، وَمَنْ دَعَى بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ جَنَى جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ...» الْحَدِيثُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ ٥ / ٣٣٤، وَالتِّرْمِذِيُّ ح ٢٢٩٨، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ ١ / ٣٦٦)، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رَدَى فَهُوَ يَنْزِعُ بِدَنْبِهِ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ح ٥١١٧)، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الْإِنْمِ وَهَلَكَ.

(١) بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الْإِنْتِسَابَ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ائْتِسَابٌ حَسَنٌ مُحَمَّدٌ، فَهِيَ اسْمَانِ شَرْعِيَّانِ.

(٢) انظُرْ: "اِقْتِضَاءُ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ" لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (١ / ٢١١).

وَأَنْظُرْ كَيْفَ حَاوَلَ النِّفَاقَ أَنْ يُطِِّلَ بَقْرَنِهِ وَيَنْفِثَ سُومُوهُ فِي مَنَاخِ الْفِتْنَةِ؟^(١)؛
وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾
[الأنفال / ٤٦].

و... «إِذَا تَفَرَّقَتِ الْغَنَمُ قَادَتَهَا الْعِزُّ الْجَرْبَاءُ».

وَقَدْ حَضَّ الْإِسْلَامَ عَلَى التَّجْمَعِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنَّ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ كَلِمَةً وَاحِدَةً
وَيَدًا وَاحِدَةً عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
-

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ / صَفِيِّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارِكَفُورِيِّ فِي كِتَابِهِ "الْأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ" (ص ٣٧) عَنِ
الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ: «فَهُمْ حِينَ يَسْمَعُونَ خَبْرًا يُفِيدُ اتِّحَادَ الْمُسْلِمِينَ وَتَعَاوُنَهُمْ فِيْمَ بَيْنَهُمْ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ
الْعَالَمِ يَنْزَعُجُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْتُرُوا كَاتِبَتَهُمْ وَالْمَهْمُ، بَلْ يَبْدُو كُلُّ هَذَا مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِهِمْ
وَتَعْلِيْقَاتِهِمْ؛ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَدَبَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِمَ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ /
١١٨]، وَهُمْ حِينَ يَسْمَعُونَ عَنْ تَنَازُعٍ وَاخْتِلَافٍ فِيْمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ يَطِيرُونَ فَرَحًا، وَيُصَفِّقُونَ
وَيَمْرُحُونَ، وَتَهَلَّلُوا وَجُوهُهُمْ كَأَنَّهُمْ نَالُوا أَعْظَمَ بُعْيَةٍ وَفَازُوا فَوْزًا عَظِيمًا، بَلْ أَكْبَرَ مَا يَهْمُهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى
الْمُسْلِمِينَ هُوَ أَنْ يُبَيِّرُوا فِتْنَةً تُؤَدِّي بِهِنَّ إِلَى التَّنَازُعِ وَالْإِفْتِرَاقِ، يُنْفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالًا طَائِلَةً، وَيُحْصِصُونَ
لَهُ خُبْرَاءَ مُتَحَصِّصِينَ فِي إِفْسَادِ الْعَلَاقَاتِ، وَإِثَارَةِ الْفَلَاقِلِ وَالْفِتَنِ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ». أ.هـ.

إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آلِ عِمْرَانَ / ١٠٣].

وَخَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ؛ فَقَالَ: (١) قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ قِيَامِي فِيكُمْ؛ فَقَالَ: «مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ؛ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أْبَعْدُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٢) «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا فِي النَّارِ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٣) «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ (٤) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ».

- (١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢١٦٥)، وَالْأَجْرِيُّ فِي "الشَّرِيعَةِ" (ص ٨)، وَأَنْظَرُ: الصَّحِيحَةُ (ح ١١١٦).
(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢١٦٦)، وَأَنْظَرُ صَحِيحَ التِّرْمِذِيِّ لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ١٧٥٩).
(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٥ / ١٨٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٤٧٥٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (ح ٦٤١٠).
(٤) الرِّبْقَةُ: مَا يُجْعَلُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ؛ كَالطُّوقِ يُمَسِّكُهَا لِئَلَّا تَشْرُدَ، فَإِذَا خَلَعَتْهُ فَلَا يُؤْمَنُ عَلَيْهَا عِنْدَ ذَلِكَ الْهَلَاكُ وَالضَّيَاعُ.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْإِسْلَامَ رَوَابِطَ الْوُدِّ وَالْإِخَاءِ الَّتِي تَرِبُّ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ؛ فَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الْحُجُرَاتُ / ١٠]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١)
 «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»، وَقَالَ أَيضًا: (٢) «كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ
 إِخْوَانًا».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٣) «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ
 أَذْنَاهُمْ، وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ...».
 وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٤) «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ؛
 اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ؛ اشْتَكَى كُلُّهُ».

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٥) «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتِعَاطِفِهِمْ؛
 كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ
 وَالْحُمَى».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٥١٤٣)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٦٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٦٠٦٥)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٥٩).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٢٧٥١)، وَابْنُ مَاجَهَ (ح ٢٦٨٥).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٠٠٠).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٨٦).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

وَقَالَ أَيضًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٢) «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ؛ فَالْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاوُضِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْوُقُوفِ بِحَزْمٍ أَمَامَ أَيِّ مُحَاوَلَةٍ لِيَزْعَزِعَةَ صَفَّ الْمُسْلِمِينَ وَتَفْرِيقَ جَمَاعَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٣) «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ؛ فَاقْتُلُوهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُودَ: «إِنَّمَا سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ - أَوْ: يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - كَانِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٦٠٢٦)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٨٥).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ١٨٤٤).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ١٤٨٠)، وَأَنْظَرُ "إِرْوَاءُ الْغَلِيلِ" (ح ٢٤٥٢).

وَقَدْ أُوجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ نِزَاعٌ أَوْ خِلَافٌ أَنْ يَرُدُّوهُ هَذَا التَّنَازُعَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَشَهِدَ لَهُ بِالصَّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّسَاءُ / ٥٩].

وَعَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيْونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ؛ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: (١) «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

فَالخُرُوجُ مِنَ الْخِلَافِ يَكُونُ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٦٧٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (ح ٤٢).

فَلتَرَابِطِ الْأُمَّةِ وَلتَجْتَمِعَ حَوْلَ هَذَا الْمِنهَاجِ الَّذِي رَسَمَهُ لَنَا نَبِينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلاَهُ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ - كائِنًا مَنْ كَانَ - حَتَّى وَلَوْ كَانَ مُتَنَزِعًا لِلْمُلْكِ وَلَمْ يَنْ لَهُ بِأَهْلٍ (١)، وَالتَّمَسُّكِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ ..

فَهَذَا هُوَ سَبِيلُ التَّالْفِ وَجَمْعُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) انظُرْ: كِتَابِي: «طَاعَةُ أَوْلِي الْأَمْرِ».

وَأَنْظُرْ أَيْضًا: كِتَابَ «سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ .. مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ» لِأَخِي الشَّيْخِ / مُحَمَّدِ جَبْرِ.